البُرْقُعي

الدكتور محمد بن عبد الله العزام

(١) يحسُن أولاً أن أشرح سبب الاهتمام بهذا الرجل : فإني كنت مشتغلاً بجمع الأدلة على تزوير شرح ديوان المتنبّي المنشور باسم معجز أحمد منسوباً إلى أبي العَلاء المعرِّي . فوجدتُ فيه ١/ ٢٢٢ هذا الشاهد لشاعر اسمه البرقعي :

تبدّل الرَّبعُ من أسماءَ غزلانا وأقفرت من سُليمى أرضُ حُلوانا

ولم يُضبَط لقبه بالحركات ولا ذُكر اسمه ولا كنيته، ولم يُعلِّق عليه المحقِّق بشيء . فلأنه غير معروف ولا يوجد في المصادر وكتب التراجم والألقاب خطر على البال أنَّه ربَّما يكون من المغمورين المتأخرين عن عصر المعرِّي ، فيكون دليلاً يُضاف إلى الأدلة الكثيرة على تزوير الكتاب ، وربما يرشدنا إلى العصر الذي صُنِّف فيه .

(٢) وسُرعان ماتبدَّد هذا الظنّ ! فإني وجدت في كتاب عقلاء المجانين لأبي القاسم الحسن بن محمَّد بن حبيب النيسابوري المتوفَّى سنة ٤٠٦ قوله في ص ٨٤ (ومن مشهور شعر **علي بن محمَّد البرقعي :**

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ماهِمَّتي الا مقارعةُ العِدى خلِقَ الشبابُ وهِمَّتي لم تَخْلَقِ
والمرءُ كالمدفون تحت لسانه ولسانُه مفتاحُ بابٍ مُغلَقِ
إني أرى الأكياسَ قد تُركوا سُدىً وأزِمَّةَ الأملاكِ طَوْعَ الأحمقِ
لو كان بالحِيَلِ الغِنى لوجدتني بنجوم أقمار السماء تعلُّقي
لكنَّ من رُزِقَ الحِجى حُرِمَ الغِنى ضدان مفترقان أيَّ تفرُّقِ)

فاتَّضح أن اسمه عليّ بن محمَّد وأنه من أهل القرون الأربعة الأولى، وانقطعت الصلة (إلى حين) بين أمره وأمر المعجز المنحول لأنه أقدم من أبي العَلاء فيجوز أن يستشهد بشعره .

(٣) ثم وجدته ذُكر استطراداً في ريحانة الألباء ٢/ ٣١٥ للشهاب الخفاجي المتوفَّى سنة ١٠٦٩، قال (ألم تسمع قول البُرْقُعيّ :

رأتْ عَزَماتي وطُولَ انْكماشي وطُولَ التَّململُلِ فوقَ الفِراشِ
وقالت أراكَ أخا هِمَّةٍ ستبلُغُها فتُرى ذا انتِعاشِ
فهَلاّ أقمتَ ولمْ تَغْتَربْ فقلتُ القناعةُ طَبْعُ المَواشي)

وهذه الأبيات بعينها وردت في كتاب تحسين القبيح ١٠١ للثعالبي بعبارة (قال البرقعي من قصيدة) . فقال المحقِّق الأستاذ شاكر العاشور، وأحْسِن بقوله (لعله عليّ بن محمَّد البرقعي المذكور في حماسة الظرفاء ١/ ٥٩ ، ولم أجد له ذكراً آخر سوى لقبه في نثر النظم . والأبيات له في اللطائف ٤٠ وأحسن ماسمعت ١٥٦ ، ووقع اسمه في اللطائف مُحرَّفاً : الرافعي) .

ووجدت في البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ٤/ ٢٢٣ قصيدة للبرقعي على اللام ، ولم تعلق عليه المحققة الدكتورة وداد القاضي بشيء ، كما لم يعلق عليه الدكتور إبراهيم الكيلاني في طبعته الأولى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
www.alukah.net

وأنشد المحبّي المتوفَّى سنة ١١١١ في ذيل نفحة الريحانة ١٤٦ ، ونقل عنه المرادي في سلك الدرر ٢/ ٢٤٨– ٢٤٩ مقطوعتين لعبد الحي الشهير بالخال، ثم قالا :

(وهما على اسلوب قول البرقعي :

إنِّي أخافُ من العُيو ن النُّجْلِ والحَدَقِ المِراضِ
وأزورُ لَيْثَ الغابِ بالـ ـهِنْديِّ في وَسَطِ الغِياضِ
وإذا رأيتُ مُوَرَّدَ الـ ـأجْفانِ جُمِّشَ بالعضاضِ
أيقنتُ أنَّ مَنِيَّتي بينَ التَّوَرُّدِ والبياضِ)

واستشهد ابن معصوم المتوفَّى سنة ١١١٩ في أنوار الربيع ٣/ ٥ بقول البرقعي :

من حَمِدَ الصبرَ وحالاتِهِ فلستُ بالحامدِ للصَّبْرِ
كم جُرْعةٍ للصبر جُرِّعتُها أمرَّ في الذوق من الصَّبْرِ

ولم يذكر المحقِّقون اسمه ولا شيئاً يفيد في معرفته، ولا بدَّ أنهم بحثوا عنه طويلاً بلا نتيجة. ولم يعلِّقوا عليه بشيء مفيد إلا قول الأستاذ شاكر العاشور الذي مرّ، وقول الدكتور عبد الفتاح الحلو رحمه الله في حاشية ذيل النفحة (لم أهتد إلى البرقعيّ هذا) ، وقال محقق أنوار الربيع نحو ذلك . وما أحسن هذا التواضع منهم لأنه يدفع غيرهم من الباحثين إلى استقصاء الأمر واستكمال النقص ، لا مايفعله غيرهم من الإطناب في الكلام على المشاهير والسكوت عن المشكلات .

(٤) فمن المصادفات أنني كنت أبحث عن مصادر قصيدة توجد في بعض مخطوطات ديوان أبي الطيّب المتنبّي منسوبة إليه ، وهي اثنان وعشرون بيتاً ، أولها :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رأيتُ المُقام على الاقتصادِ قُنوعاً به ذِلَّةً في العِبادِ

وقد ساقها الحافظ ابن عبد البر (المتوفَّى سنة ٤٦٣ رحمه الله) في بهجة المجالس ١/ ٢٣٥ قائلاً (قال بعض المتأخرين من المغاربة، **وتُنسب إلى المتنبّي ولا تصحّ له**) . ثم وجدت منها ثلاثة أبيات في معجم الأدباء ١/ ٢٢ (بتحقيق الدكتور إحسان عباس) **منسوبة إلى البحتري** ، وهي قوله :

رَأَيْتُ القُعودَ عَلَى الإقْتِصادِ قُنُوعاً بِهِ ذِلَّةً في العِبادِ
وعَزَّ بِذي أدَبٍ أنْ يَضِيقَ بِعِيشَتِهِ وُسْعُ هذي البِلادِ
إذا ما الأَدِيبُ ارْتَضَى بِالخُمُولِ فَما الحَظُّ فِي الأَدَبِ المُسْتَفادِ

ولا توجد في ديوان البُحتُري، وإنما أوردها محققه الأستاذ حسن كامل الصيرفي رحمه الله في الملاحق ٥/ ٢٨٠٠ عن المعجم فقط . والصواب في البيت الثاني كما في المصادر الأخرى (وعَجْزٌ بذي أدبٍ) .

ثم وجدت القصيدة كاملة – بل مزيدة مطوَّلة في نيِّف وستين بيتاً – في جمهرة الإسلام لأبي الغنائم الشيزري وهو من أهل القرن السابع (الصفحة ١٠٥– ١٠٧ من المخطوطة المصوَّرة) ، منسوبة إلى **علي بن محمد العَلَويّ البصري صاحب الزِّنج** المقتول سنة ٢٧٠، ومعها طائفة من أخباره . فلما راجعت مجموع شعره (مجلة المورد ١٩٧٤) وجدت صاحبه الأستاذ أحمد جاسم النجدي يورد هذه الأبيات الأربعة منسوبة إليه :

رَأيتُ المُقامَ عَلَى الإقْتِصادِ قُنُوعاً بِهِ ذِلَّةً فِي العِبادِ
وفي الإضْطِرابِ وفي الإغْتِرابِ مَنالُ المُنى وبُلُوغُ المُرادِ
إذا النَّارُ ضَاقَ بِها زَنْدُها فَفُسْحَتُها فِي فِراقِ الزِّنادِ
إذا صارِمٌ قَرَّ فِي غِمْدِهِ حَوى غَيْرُهُ السَّبْقَ يَوْمَ الجِلادِ

وأحال على كتابين : نثر النظم للثعالبي وشرح نهج البلاغة لابن أبي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة www.alukah.net

الحديد، وكأنه لم يعرف بما نُسب منها إلى البحتري ولا أن القصيدة توجد في بهجة المجالس وجمهرة الإسلام . فأمّا ابن أبي الحديد المتوفَّى سنة ٦٥٥ فإنه استوفى سرد أخبار صاحب الزَّنج في الجزء الثامن من شرح نهج البلاغة (بتحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم رحمه الله) ، ومما قاله فيه ٨/ ١٢٨ (ومن شعره القصيدة المشهورة التي أولها) وأورد البيت الأول ثم الثالث والرابع .

(٥) **وأما كتاب الثعالبي فكان فيه مفتاح هذا اللغز !** فإنَّه أورد هذه الأبيات ماعدا الأول في نثر النظم ١٠٠ (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٩٩٠) ، **ولكنه نسبها إلى البرقعي !** فاعجب لأن جامع الشعر لم يذكر أن القطعة في نثر النظم منسوبة للبرقعي ، ولم يفطن لاحتمال أن صاحب الزَّنج كان يُلقَّب بهذا اللقب . وراجعت كلامه في التمهيد للأشعار وما نُشر في المورد تعقيباً على مقالته وردِّه عليهم ، وفيه مذاكرة عن ألقاب صاحب الزَّنج، فلم أجد أحداً التفت إلى هذا الأمر .

فخطر على البال مراجعة كتب الثعالبي الأخرى فكان فيها الخبر اليقين:

- فإنه قال في ثمار القلوب ٣١ (قال ابن الرومي في فتنة البرقعي) ، وساق بيتين من قصيدته الميميَّة المشهورة التي قالها بعد سقوط البصرة واستباحة الزَّنج إياها في شهر شوال سنة مائتين وسبع وخمسين، ولم يعلِّق عليه المحقِّق بشيء على الرَّغم من وضوح المقصود .
- وقال في لطائف المعارف ١٤٢ (أربعة في الإسلام قَتل كلٌّ واحد منهم أكثرَ من ألف ألف رجل) فكان البرقعي رابعَهم، ولا ينطبق ذلك إلا على صاحب الزَّنج . واجتهد المحقِّقان الصيرفي والأبياري فقالا في الحاشية (لعله يقصد المُبَرقَع وهو أبو حَرْبٍ اليمانيّ) . وهو غلط واضح لأن فتنة ذلك الرجل الخارج بفلسطين – المذكورة في تاريخ الطبري ٩/ ١١٦ (حوادث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سنة ٢٢٧) – لم تكن أمراً عظيماً بحيث يُسلك في هؤلاء الأربعة .

• وقال معاصره أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي ثمّ النيسابوري الإسفرائيني (المتوفَّى سنة ٤٢٩ ، رحمه الله) في كتاب الفَرْق بين الفِرَق ٣٦٠ استطراداً (... كالبرقعي الذي عدا على أهل البصرة ظلماً وعُدواناً، وأكثرُ النسّابين على أنَّه كان دَعيّاً فيهم ولم يكن منهم) .

• وقال معاصرهما أبو الريحان محمَّد بن أحمد البيروني (المتوفَّى سنة ٤٤٠ ، رحمه الله) في كتاب الآثار الباقية ٣٣٢ (خرج البرقعي بالبصرة، وذكر أنَّه عليّ بن محمَّد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن أبي طالب، وقيل إنه عليّ بن محمَّد بن عبد الرحيم من عبد القيس) .

فلم يبق موضع للشكّ في أن علي بن محمَّد البرقعي هو علي بن محمَّد العلوي البصري صاحب الزَّنج ومُشعل نار الفتنة العظمي في جنوب العراق والأهواز طيلة خمسة عشر عاماً (٢٥٥– ٢٧٠ هـ)، وقُتل فيها مئات الألوف من المسلمين واستُبيحت البلاد والنفوس والحرمات والأعراض والأموال. وهو شاعر مُجيد، ويغلب على شعره ذكر الفتك والبسالة والرغبة في الخروج على السلاطين وذمّ القعود والقناعة. وهذه الأغراض واضحة جداً في الأشعار المنسوبة إلى البرقعي لأنهما رجل واحد .

(٦) **وهؤلاء العلماء من أهل خُراسان وماوراءها** من أقاصي المشرق، فكأنَّ لقب (البرقعي) كان محصوراً في تلك الجهات مألوفاً لعلمائها بحيث غلب لديهم على غيره من الألقاب . ومعلوم أن أصله من قرية تُسمَّى وَرْزَنين من قرى الرَّي، وقضى نحو سنتين في خراسان، ولم يكن علوياً ولا بصرياً. ولايمتنع أن أهل تلك النواحي يعرفون من أمره وألقابه مالايعرفه غيرهم، ولعلهم أرادوا تحقيره به والتذكير بوضاعة أصله. ثم اضمحلّ ذلك اللقب وبقي اللقبان المعروفان : العلوي البصري وصاحب الزَّنج .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أمّا سائر العلماء والمؤرخين في أنحاء العالم الإسلامي فيظهر أنَّهم لم يعرفوا لقبه هذا أو عرفوه ولم يجد قبولاً لديهم. وقد هجاه البُحتُري وابن الرومي وكثرةٌ من الشعراء وحقَّروه بأوصاف شتى ليس منها هذه الكلمة مع أنَّها تصلح للتحقير . وأطال معاصرُه أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبري رحمه الله في سرد وقائعه وأخباره في تاريخه ٩/ ٤١٠– ٦٦٥، ومثله عز الدين بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٨/ ١٢٦– ٢١٤ . ووقفت على ترجمته وأخباره في كتب كثير من المصنِّفين– ومنهم ابن المعتز وابن حزم والحصري وابن السيِّد البطليوسي وابن الجوزي والشيزري والذهبي وغيرهم– فلم أجد تصريحاً بأنَّه كان يلقَّب بالبرقعي، ولا خبراً يفيد في تفسير هذه الكلمة .

ومعلوم أن إخفاء الوجوه بالأقنعة والبراقع وقع لبعض الخوارج لأسباب مختلفة، ولكن كلمة البرقعي لاتفيد أنَّه كان يتبرقع عن الناس، ولو فعل ذلك لذكروه في أخباره وقيل له المُبرقَع أو المُتبرقع أو صاحب البُرقع . والذي قالوه أنَّه كان يشتغل بالتنجيم وكتابة الحُروز وتعليم الصبيان. وأقرب مايتَّجه إليه الظن أنَّه كان يشتغل بالبراقع في بعض نواحي المشرق قبل أن يدخل العراق، وإن لم نعرف حقيقة الخبر الآن . وعلى ذلك ينبغي أن يكون ضبط الكلمة (البُرْقُعي) بضمّ الباء والقاف وهو الأظهر، أو (البُرْقَعي) بضمّ الباء وفتح القاف .

وأكاد أجزم أن المتأخرين كالخفاجي والمحبِّي وابن معصوم نقلوا هذه الكلمة الشاردة من الكتب ولم يعرفوا أنه هو صاحب الزَّنج. وأظن أنها تصحَّفت إلى (البُحتُري) في معجم الأدباء، سواء من ياقوت أو ناسخي كتابه. وشعر البُحتُري محفوظ وديوانه محقَّق على خمس عشرة مخطوطة ليس فيها هذا الشعر، ولا هو من ماء شعره أصلاً ولا نُسب إليه في كتاب آخر .

(٧) وبعد كتابة هذا التحقيق وقفتُ على كتاب المحبّ والمحبوب للسري بن أحمد الرفّاء الشاعر الموصلي المتوفَّى سنة ٣٦٢، فرأيته يستشهد في موضعين بشعر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

البرقعي (الصفحات ٣٩١ و ٤٥٣)، وقال محقق الكتاب الدكتور حبيب الحسني فيهما (لم أجد له ترجمة). أمّا الغريب حقّاً فهو استشهاده في أربعة مواضع من الكتاب بشعر العلوي البصري (انظر الصفحات ٤٦٠ و ٤٧٦ و ٥٧٤ و ٦٦٣). وأيضاً قال المحقّق (لم نَجِد له ترجمة) مع شهرة هذا اللقب لصاحب الزَّنج. وأخشى أن يكون تفسير ذلك أن السري الرفاء لم يعرف أنَّهما رجل واحد !

(٨) فيجب إذن أن تُضاف الأشعار المنسوبة للبرقعي والعلوي البصري إلى مجموع شعر صاحب الزَّنج، ومنها مطلع القصيدة النونية المذكور في أول هذه المقالة والقصيدة الموجودة في جمهرة الإسلام والقطع الموجودة في كتاب السري الرفاء. وقد وقع في شعره المجموع كثير من أوجه الخلل والنقص، كما نُسبت إليه بعض أشعار عليّ بن محمَّد العلوي الحمّاني الكوفي .

(٩) وتنتهي بنا شجون الحديث إلى معجز أحمد حيث بدأت! فمن الغريب أن مصنِّفه يسلك في تسمية البرقعي مسلك أولئك المشارقة! **ولذلك يغلب على ظني أنَّه من تلك النواحي.** وفي الكتاب شواهد أخرى غير قليلة تقوِّي هذا الاستنتاج لايتسع المقام لبسط القول فيها . أمّا أبو العَلاء المعري فأشار إليه في رسالة الغفران ٤٤٨ بلقبه المعهود (العلوي البصري) وذكر اسمه ونسبه وبعض شعره وما قيل عن أوّليته، ولم يقل إنه يلقَّب بالبرقعي. كما ذكره في اللزوميات بقوله :

كالذي قام يجمعُ الزَّنجَ بالبصـ ـــرة والقَرْمَطيِّ بالأحساءِ

فعادت هذه الكلمة دليلاً على أن المعجز منحول عليه! والحمد لله أولاً وآخراً .

حاشية : نُشر البحث المُشار إليه (ليس للمعرّي) في مجلة عالم الكتب بالرياض ١٤/ ٢٤٢– ٢٦٢ (١٤١٣ = ١٩٩٣) وتضمن براهين كافية على أن الكتاب الذي نشر منسوباً إلى أبي العلاء المعرّي باسم (معجز أحمد) كتاب مزوّر . ثمّ نشرت بحثاً آخر في نفس المجلة ١٥/ ٢٦٦– ٣٠٠ (١٤١٤ = ١٩٩٤) بعنوان (معجز أحمد الحقيقي) تضمن نقد النصوص الواردة عن تصنيف أبي العَلاء كتاباً بهذا الاسم، وانتهيت فيه إلى الشكّ القوي في أساس وجود الكتاب . فليرجع من شاء إليهما .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
الألوكة www.alukah.net